تأثير الانتفاضة في رؤية يهود العالم

أحـدثت الانتفاضة الشعبية الفلسطينية جملة تحولات هامة في وعي الرأي العام العالمي تجاه الصراع العـربي ـ الاسرائيلي؛ حيث جسّدت، منذ انطلاقتها، المحتوى الكفاحي والانساني والاخلاقي لثورة الشعب العربي الفلسطيني، في مواجهة اسرائيل، التي اسفرت عن وجهها العنصري البشع، عبر ممارساتها الهمجية في قمع انتفاضته.

لقد كان انفعال العالم بثورة الحجارة، وتفاعله معها، تعبيراً عملياً عن اهتزاز مجموعة المفاهيم والمقولات الزائفة، التي رسختها الامبريالية، والصهيونية، في الوعي الغربي عموماً، واليهودي خصوصاً، حول اسرائيل باعتبارها منبع القيم الروحية السامية، وواحة الديمقراطية، ورسول الحضارة الى الشرق المتخلف.

وتأتي الانتفاضة الفلسطينية، مقرونة بالممارسات الفاشية الاسرائيلية، لتشكل نقطة تحّول هامة في رؤية يهود العالم نحو اسرائيل، وفي علاقاتهم بها، وفي فهمهم لخلفيات الصراع العربي ـ الاسرائيلي. كتب الصحفي الاسرائيلي اوري هورفيتش: «لقد حدث شرخ في العلاقة بيننا وبين صديقنا الحقيقي والوحيد في العالم، وهو الشعب اليهودي؛ فيهود بارزون في جميع انحاء العالم، يوجهون، اليوم، نقداً قاسياً الى ما حدث في المناطق [المحتلة]» (**عل همشمار**، ١٩٨٨/١/٢٧).

ان توجيه النقد الى اسرائيل من قبل يهود العالم ليس امراً جديداً. ولكن الجديد هو مستوى، وأهداف، ونتائج، الانتقاد اليهودي لاسرائيل. فقد سبق لبعض الزعماء اليهود ان وجهوا انتقادات الى اسرائيل، في اعقاب العدوان الاسرائيلي على لبنان في حزيران (يونيو) ١٩٨٢؛ كما وجّهت انتقادات يهودية عديدة الى اسرائيل، اثر افتضاح قضية الجاسوس جوناثان بولارد وقضية التورط الاسرائيلي في صفقات الاسلحة الاميركية الى ايران، والتي عرفت في حينها بقضية «ايران غيت». غير ان الانتقادات سرعان ما خفتت وتراجعت امام هجمة الاصوات اليهودية القوية، المدافعة عن اسرائيل.

أما الانتقادات اليهودية الراهنة، فانها تمتاز عن سابقاتها باتساع نطاقها، على الصعيد اليهودي العالمي، وشمولها معظم الفئات الاجتماعية اليهودية، وتجاوزها الحدود التقليدية في النقد الموجّه الى اسرائيل.

اتساع موجة الانتقاد اليهودي

اصيبت المنظمات والشخصيات الصهيونية واليهودية عموماً بالحرج والارباك ازاء صور القمع الوحشي، التي تناقلتها وسائل الاعلام، والتي صوّرت الجنود الاسرائيليين وهم يمارسون أبشع أشكال التنكيل والتعذيب ضد الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة. فطوال أربعة عقود من الزمن انهمكت المنظمات والشخصيات اليهودية هذه في تسويق صورة اسرائيل «الجميلة» والعرب «المتوحشين الارهابيين» الى العالم. وفجأة، يقف العالم كله ازاء المشهد الحقيقي للصراع، بكل صدقه وقسوته، الامر الذي فضح زيف الدعاوى الصهيونية، وجعل العديد من المنظمات والشخصيات اليهودية تسارع الى شجب سياسة القمع الاسرائيلية، والتنصّل من مسؤولية التـورط في دعم الاتجـاهات المتطرفة في الكيان الصهيوني. وكان رئيس مؤتمر المنظمات اليهودية في الولايات المتحدة، موريس ابرام، في مقدم الشخصيات اليهودية البارزة التي انتقدت سياسة اسرائيل في المناطق المحتلة، حيث اتصل هاتفياً، بتاريخ ١٩٨٨/١/١٥، بوزير الدفاع الاسرائيلي، اسحق رابين، واعرب له عن احتجاجه على سيـاسـة الضرب التي اعلنهـا رابـين جهـاراً. وقـال ابـرام، الذي كان يتحـدث باسمـه وبـاسم زعمـاء،